

## القطب المتجمّد اللبناني

### الكاتب



نسيم الخوري

د. نسيم الخوري

عندما كانت الأرض مغمورة بالمياه، كانت حركة الكائنات مائية، أي تسير بحريّة وسلاسة وهندسات غرائزية محفوفة بالتواصل والتقاتل، ومحفوفة بالتلاحق للتكاثر. وبعدما انحسرت المياه بثلاثيها اللذين يغمران الأرض، أو الثلث اليابس بجباله الجليدية الشاهقة ووعورته، وقعت الكائنات كلّها في صراع شرسٍ أبدي، وراحت تزحف، وتجاهد، وتتقاتل، وتلغي بعضها بعضاً فوق اليابسة، بسبب صعوبة الحركة ومشقاتها، درءاً للجوع والإلغاء، وتحقيقاً لغريزة البقاء.

لنقل إن الإنسان كان الأذكى والأشقى فوق الأرض، لكنّه هام مسكوناً بالموت تفترسه جرثومة لا تُرى من طراز «الكوفيد» مثلاً، التي قلبت العيش في الدنيا.

أنسج هذه المقدّمة للتنبيه الى كوارث انتقال السلطات في القطب المتجمّد اللبناني، إذ يُخاطب الناس الأجنّة في أرحام «أمهاتهم بالقول: «أبقاكم الله في مائكم الأوّل

ويشتدّ تلويّ اللبنانيون فوق اليباس السياسي الطائفي العام المتقاتل والمتشظي بالطلاق، وهجرة الشباب، وبؤس العائلات ويأسها، والعجز عن دفن ضحاياهم ومعالجة مرضاهم ومحاصرتهم بالفقر والجوع وعصابات التهريب والسرقات والتشليح المتنامية، وحوادث السير اليومية المرعبة، وحصر المعونات والتبرعات والعطاءات الدولية بالجمعيات المتعددة المتنوعة التابعة بمعظمها للأحزاب المذهبية إياها، متجاهلين مسارب توزيع غلالها، بينما يتلوّى «أسياد» الجمهورية المتلاشية ببرك السجلات في الشاشات والمواقع (تصوّروا أن عدد المواقع الإخبارية تجاوز الـ 1006 في لبنان)، في تفسير دستور الطائف الذي لم ينص مثلاً لا على المهلة الممنوحة لرئيس «الجمهورية» الماروني بإعلان اسم الحكومة وتكليفه رسمياً بعد الاستشارات البرلمانية، ولا على المهلة الممنوحة للرئيس المكلف

بتشكيل الحكومة بالتشاور والتنسيق مع رئيس الجمهورية. والسؤال الخلفي الأكبر هو: هل يحقّ لحكومة تصريف الأعمال الحالية، برئاسة نجيب ميقاتي، دستورياً، تسلّم سلطات رئيس الجمهورية ميشال عون المنتظر أن يغادر قصر بعدا بانتهاء ولايته منتصف ليل 31 نوفمبر/ تشرين الثاني، أم لا؟

يروى الرئيس السابق للبرلمان، حسين الحسيني، موضحاً أن مداولات الطائف وتقاريره ووقائع جلساته التي حجبها وكَمّمها عن الأجيال اللبنانية المستقبلية من دون وجه حق، لم تهمل أبداً «المعضلتين» المذكورتين في الصلاحيات، بل تمّ الاتفاق شفهيّاً على مهلة أربعة أسابيع، و10 أيّام اجترحناها من قاعدة الطلاق لدى المسلمين، إذ بعد أن يُطلّق الزوج زوجته ثلاث مرات، لا يمكنه استرجاعها إلا بعد زواجها من آخر، قياساً على إيفاء العدة الشرعية، ما أثار جدلاً واجتهادات في مدينة الطائف لم تفض إلى نتيجة مكتوبة، لأنّ رفيق الحريري قبل أن يكون رئيساً للوزراء اعتبر الاجتهاد تقييداً لصلاحيات رئيس الحكومة المقبل.

تصوّروا هذا الشلل الدستوري الذي جعلهم رهائن الخارج بانتظار مؤتمر عربي بإحياءات دولية تُخرجهم من هذه الأنفاق المتجمّدة عبر تعديل الدستور، وإلاّ السقوط في الفوضى، ولربّما تجدد الحروب الأهلية، ونسف الدستور من أساسه. أضف إلى ذلك، أنّ الصراع الماروني قوي، وثقيل جداً بين المرشّحين الكثر لكرسي بعدا، في مرحلة فُتحت وفقاً للدستور، لكنّها شديدة الخطورة، لأنهم تشطّوا قبل غيرهم في أرجاء الداخل والخارج المتنوع، وباتوا ورقة ضعيفة بعدما كانوا الزاوية عبر الدعامات السياسية الإقليمية والدولية، وهم يمعنون لاواعين في تهشيم كرسي بعدا، في أزمنة المتغيرات السلطوية عبر تقدم الثنائيات والثلاثيات والتكتلات الحزبية تضافرها بقايا الأحزاب الصغيرة المترهلة.

ننتظر النجدة في «جمهورية» طيّف أسياها دستور الطائف ثمّ طوّفه ليحشّروهم في الـ2008 متنافرين «دوغما» بطائرة نحو الدوحة، ويعودون باتّفاق أجھض بعض ركائز اتفاق الطائف، محكوماً بالإهمال والتجاوز والتعثر الوطني، لتبقى «الجمهورية» مستوردة مشلولة، كأننا نعيش فعلاً بلا دستور، وأياً كان يتناول متجاوزاً حدوده وصلاحياته ومقامه وتأثيره بالاستناد إلى جمهوريات الأحزاب الطائفية «الأقوى والأنفى» طبعاً بين قوسين

لبنان واقع في فجوة تتجاوز حجمه وجحيمه، وأرى اتّفاق الطائف اليوم، كما سبق واختصره الصديق الرئيس الدكتور سليم الحص «مشابهاً لدستور الإيمان، إمّا أن نكون معه أو ضدّه»، ولهذا سيبقى اللبنانيون، على الأرجح، خصوصاً الموارد، هائمين في الأمم لا يحلمون لا بوطن خاص، ولا بدستور جديد، بل بمروحة من الصلاحيات القديمة الواسعة التي أضاعوها واستهلكت مع الدستور الأول الذي أكلته الحروب، الداخلية والخارجية. إنهم يتزاحمون مجدداً على كرسي (سنتناولها قريباً)، كأنهم بانتظار غودو الذي لن يأتي لتكسير جبال الجليد في ما بينهم، ولذا نراهم مع غيرهم في ردهات المطار الذي تسكنه، للأسف، فضائح نتف الريش بـ«الدولار فريش» لمليون ونصف مليون مصطاف، غادروا «تماماً مستائنين كما «الصيصان الحلوين

[drnassim@hotmail.com](mailto:drnassim@hotmail.com)